IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
عدد خاص لبحوث المؤتمر العلمي الثالث لكلية القانون - جامعة واسط للمدة من 17 - 18 نيسان 2024

الاعتراف في شعر الفرسان الجاهليين
عمرو بن معدي يكرب اختياراً

م. م. نور سامي عبيد[1]

انتساب الباحث
[1] كلية التربية الأساسية، جامعة واسط، العراق، واسط ، 52001

[1] Noor.Sami@uowasit.edu.iq

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر : كانون الثاني 2025

المستخلص
هذه الدراسة محاولة لتحليل المضامين الشعرية الجاهلية التي استحضرت ظاهرة الاعتراف في شعر الفرسان الجاهليين، إذ كشفت قراءة النصوص الشعرية المختارة لعمرو بن معدي يكرب الزبيدي، عن طبيعة اعترافات وكيفيات تقصد منشدها الى أن ينحو منحى واعٍ في إنتاجها، فهو بحث بما وراء النصوص الاعترافية وكيفية إبداع منتجها ضمن صورة فنية راسخة في خلفيات المبدع الثقافية، تومئ الى ما تضمره نفس الشاعر، فهي تجربة كشف عبر مرايا الكلام الشعري، يُقدم فيها الشاعر غير المعلن أو المضمر عن طريق الاعتراف، وبيان أثره في توجيه سلوك الفارس من خلال اعترافه على وفق منظور نفسي يفصح عن البواعث الكامنة وراء عملية إبداعه الشعري، معبراً عن اللحظة الآنية التي جسدت مشاعره النفسية وانفعالاته الذاتية قبل الحدث وبعده.

الكلمات المفتاحية: الاعتراف، عمرو بن معدي يكرب، الفرسان، الشعر الجاهلي

Confession in the Poetry of Pre-Islamic Knights
Amr Bin Maadi Makes a Choice

M. M. Noor Sami Obaid [1]

Affiliation of Author
[1] College of Basic Education, Wasit University, Iraq, Wasit, 52001

[1] Noor.Sami@uowasit.edu.iq

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Jan. 2025

Abstract
This study attempts to analyse the pre-Islamic poetic contents that evoked the phenomenon of confession in the poetry of the pre-Islamic knights, as reading certain selected texts by Amr bin Maadi Yakrib Al- Zabidi, revealed the nature of confessions, and how the composer of these texts adopted a conscious approach in producing them. It is a study of what is behind the confessional texts and how to create its product within an artistic image that is firmly rooted and n the creator's cultural backgrounds, alluding to what we s hidden within the poet's soul. It is an experience of revelation through the mirrors of poetic utterances, in which the poet presents the unspoken of it the implied through confession, and demonstrates its effect in directing the knight's behaviour through his confession according to a psychological perspective that reveals the motives behind the process and f his poetic creativity, thus expressing the immediate moment that embodied his psychological feelings and personal emotions before and after the particular event.

Keywords: Confession, Amr Bin Maadi Yakrib, Al-Fursan, Pre-Islamic Poetry

المقدمة

الاعتراف بين اللغة والاصطلاح

تقترب المعجمات اللغوية في معنى لفظة اعتراف على أنه الإقرار بالشيء والكشف عن المضمر، فابن فارس يذهب الى إنه " اعترف بالشيء، إذا إقرّ، كأنه عرفه فاقر به"[(1)] أي اعلنه، في حين يربط ابن منظور الاعتراف لغوياً بالكشف والوصف بقوله " عرف فلان الضالة أي ذكرها وطلب من يعرفها فجاء رجل يعترفها أي يصفها بصفة يُعلم أنه صاحبها"[(2)]، ويذهب المعجم الوسيط الى أن " اعترف بالشيء أي اقرّ به، وإليه أخبره باسمه وشأنه"[(3)] نستنتج من التعاريف اللغوية أن معنى الاعتراف ينحصر لغوياً بين الإقرار بالشيء أو الإخبار عنه، من هنا نجد أن الفعل (عَرف) " يجري بين ثنائية هي (السري – العلني) أو (الذاتي المكتوم– الموضوعي المعروف)"[(4)].

لا يبتعد المفهوم الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، إذ هو " ترجمة ذاتية تتعمد عرض مواقف نفسية وعاطفية خاصة، فتمتلك

الاعترافات جرأة خاصة على الوصف والإدلاء بالأحداث الأكثر شخصية، والأكثر مخلة بالأعراف والأخلاق العامة"[5]، من هنا مثل النص الاعترافي ضرباً من التعبير الذي يريح النفس المتألمة مما يثقلها؛ لأن الشاعر " يقدم أسرار الذات على طبق من أسرار اللغة؛ ولأن النص قصيدة هنا وليس (مدونة اعتراف قضائي) فالشاعر فيها لا يدون أقواله، إنما يعترف بما كان رآه وعاشه ودونته مرآة ذاكرته"[6].

إن النص الاعترافي لون من ألوان النقد الموجه للذات كونه يقوم على " كشف الشأن الشخصي الذاتي بمآذن القصائد ومنابر الكلمات"[7]، فلا يتحقق الاعتراف بغير اللغة؛ لأن الكشف يتم عبر خطاب لغوي، فالشاعر " يميط اللثام عن مناطقه الحساسة عن طريق الاستغوار في اعماق الذات بوصفها كينونة عقلية توليدية يستعملها لتعميق شعوره الداخلي، داخل متنه الشعري"[8]، فقد أدرك الشعراء طبيعة أزماتهم على مختلف انماطها فنسجت اشعارهم فيضاً متلاحقاً من خطابات الاعتراف امتثالاً لدواعي ذواتهم، فصار الاعتراف باعثاً نفسياً امتد في "سدى القصيدة ولحمتها"[9]، لأن التجربة الشعرية ترصد تناقضات الذات الشاعرة وتحولاتها، فتنهض هذه التجربة بالتعريف بالذات ووعيها عن طريق تشكيل نص اعترافي، فلا يمكن الحديث عن الاعتراف بعيداً عن المبدع لكونه المنتج الحقيقي له، من هنا يكون الاعتراف " نصاً شعرياً يصدر الشاعر فيه عن كشف مضمر شخصي، والبوح به شعرياً بوصفه اعترافاً ذاتياً، بما كان مكتوماً عن لدنه مجهولاً من الآخر، لا يقع ضمن الرؤى والأفكار والطروحات المعرفية، إنما يقع في المكنون الذاتي أو الوجداني، أو الثقافي مما هو أقرب الى السري الذي لا يقال إلا إذا حضر أهله أو استدعى موقفاً ما، أو أن الشعر يتيح له القول به في سياق من الانزياح الكلي"[10].

إن بؤرة التأثيرات لها فاعلية كبيرة في رسم الاعتراف؛ كونها ترتبط بتجربة المنتج/المعترف وما واجهه من تجارب حياتية اسهمت في انزلاقه نحو الاعترافات لكون" ثقافة الاعتراف تؤدي المعنى بكثير من الحجاج حتى في الشعر، وإن نزعة الإقرار فيه تقدم الموضوعي بفنية ملحوظة تقوم على عرض الرؤية في التركيب الواحد بأوجه متعددة"[11]، ولهذا راح الشاعر يستجدي وقائع ذاته وما يحيطها، ويكيل الاعترافات التي من شأنها أن تكشف عنه، وكأنه يوازن بين ما يفرضه العقل، وبين ما تستجلبه الذات من أفكار اعترافية يحاول بثها.

ينفتح النص الاعترافي على نوافذ تجارب الشاعر العميقة، لتضمين رؤية جمالية وفلسفية تعمل على تأكيد صفوة الذات في خارطة النص الشعري، فهو يبوح معترفاً " وتجر عربة القصيدة سيرته الذاتية جراً اعترافياً ناشداً الوصول بالمعنى الى الكشف، وبالسري الى العلن"[12]، فالقصائد الحاملة لمضامين الاعتراف يكاد غرضها يكون ذاتياً متصلاً بالذات المسلوبة، فالمعترف عندما يحاط بمظاهر القلق تعتمل في صدره أحاسيس مثيرة، يجد في بث اعترافه داخل النص، وسيلة فنية للتعبير عن متناقضات الذات وإظهار همومها ومعاناتها، فيصير الاعتراف باعثاً نفسياً؛ لأن هذه القصائد " كسر فيها الشعراء مواضعاتهم وأعراضهم كاشفين عن بعض أسرارهم الذاتية للمتلقين عامة، في صياغات شعرية لافتة"[13].

مدخل

مثل الاعتراف فكرة راسخة في تفكير الشاعر ومركوزة في عمق وعيه، فجاء النص الاعترافي على أنواع متعددة، لصدورها عن ذات محملة بمحمولات تنزع الى تفريعها للخلاص منها، إلا أنها تنطوي تحت مسميات معينة تجسدت في شعرنا العربي القديم بكثرة، بين اعتراف خاص بالأنا وهو الغالب، ونص اعترافي خالص، واعتراف إعلامي تقدم إعلاناً إعلامياً مباشراً، واعتراف بالآخر وهما أقل من سابقيهما[14]، وبما إن القصيدة العربية القديمة قصيدة غرض، إلا أنها حملت إلينا جملة من الاعترافات على الرغم من أن " هناك فروق حاسمة في مفردات التجربة وصياغتها الأدائية والمضمونية بين شعراء النموذج الشعري القديم، وشعراء النموذج الشعري الحديث، متأتية من اختلاف طبيعة الروافد الفنية والفكرية التي تمد النصين التراثي والمعاصر"[15]، فلم تكن هواجس نفس العربي مُصوبة باتجاه إشباع رغباته فحسب، بل ساد الجو الاعترافي خيوط نسج قصائدهم، فخصوبة القصيدة الجاهلية نضحت لنا عن جملة كبيرة من النصوص الاعترافية عند شعراء جاهليين كثر:

لعمرك ما فررت من المنايا ولاحدثت نفسي بالفرار
ولكن الذي فر ابن عمـــــرو فألتق سلحه خلقَ الإزار[16]

لا تعذلاني في الفرار فإنمـــا فراري لمـــــا فر قبلي عامرُ
فإن لم أعود نفسي الكر بعدها فلا وألت نفس عليها أحـــاذرُ[17]

أنا الذي فَرَرتُ يَومَ الحَرّه والحُـــــــــرُّ لا يَفِرُّ إلا مَرّه[18]
لا بأس بِالكَرَّةِ بَعدَ الفَرَّه

تظهر النصوص فيضاً من الدوافع الاعترافية التي ينسلخ فيها الشعراء انسلاخاً نحو مضمون الاعتراف تبعاً لالتصاقهم بالواقع أو الابتعاد عنه وتبعاً لطبيعة الضغط الموجه نحوهم.

قَالت سَلامَةُ لم تَكن لَكَ عَادةٌ أن تَتــــركَ الأصحَابَ حَتَّى تُعذراَ
لَــو كَانَ قَتلاً يَا سلامَ فَرَاحَــةٌ لــكِن فَرَرتُ مَخَافَةً أن أُوســـراَ
وَسَبَقتُ قَبلَ المُقرِفين فَوَارِساً لِبـــــنِي فُزَارَةَ دَارعينَ وَحُسَّــراَ
فَمنحتهم كَتِفَيَّ وَهيَ مُصِــرةٌ تُدْري سَنَابِكُهـــا التُّراب الأغبَرَاَ
وَحمَلتُها فِي الوعر ثُمَّ حَدَرتُها فِي السَّهل إذ مَنعوا الطَّرِيقَ الأيسراَ[19]

إن النص الاعترافي لا يذهب الى إظهار المخاوف فقط بل ينشد الى إشاعة الارتياح في نفس المنتج ويسمح له بإيجاد البديل وإن كان مغايراً للواقع.

بهذا يمكن فهم كثير من النصوص التي أمعن منشدوها في اعترافاتهم، " فغالباً ما يلجأ الأفراد الى أساليب سلوكية مرضية تخفف من حدة التوتر عندهم وتحقق إشباعاً لدوافعهم، ويظهر سلوكهم كأنه دفاع عن الذات ضد الصراع والقلق وعدم التكيف، ينتهي عندهم الى طريقة لا شعورية في التعويض والتبرير والإسقاط"[20]، إذ حققت القصيدة الجاهلية نصوص اعترافية واضحة من خلال نماذج كررها الشعراء، كونه " نمط كتابي يشكل اتجاها في الخلق الشعري يتباين فيه الشعراء، كلٌ بحسب فاعلية رؤيته الشعرية، وكيفية الإنجاز الأسلوبي الذي يصدر عنه"[21].

كان العيش في بيئة من نمط الصحراء تجعل عنصر الصراع والاقتتال حالة دائمة، ويصير بقاء الأقوى شعار العيش فيها، فخضع الفرد الجاهلي لهذا المبدأ لما له من صلة وثيقة بين الحياة الجاهلية والقوة، خاصة إن مظاهر القوة هي السمة الطاغية لذلك العصر، مما دفع بالفرد لتعزيزها والحفاظ عليها، فافرزت لنا هذه البيئة فئة اجتماعية تمثلت بالفرسان كانت تشغل مكانة مهمة في الحياة العربية، إذ " كان الفارس مكرمة من مكارم قومه، ومفخرة من مفاخرهم التي يعتزون بها ويشيدون ببطولتها"[22].

من هنا " أدرك الإنسان أن الطبيعة هي من تتحكم بالفرد، في ضوء آلياتها التي ترسم معالم الحياة في أطرها المختلفة، ومن ثم تقرر مصيره في الحياة، وقد أدرك الجاهلي هذه الحقيقة التي فرضت عليه أن يتعامل مع نظم المجتمع ومعطياته الحياتية بوعي تام، وحساسية مفرطة كي يحقق ذاته ضمن محيطه القبلي، ومن أجل تحقيق هذه الطموحات راح يصارع الآخر بغية بزه سمة التفوق أو السبق في مجال القيم"[23]، إذ عُدّت البيئة الجاهلية محفزاً كبيراً على إنتاج القيم، فصارت القيم سلوكاً تكيفياً للإنسان العربي، فوعى الإنسان الى حجمها وسطوتها مما دفعه لمحاولة مسايرتها لضمان بقائه، ودفعه الى ابتكار وسائل تمثلت بالقيم لمجابهة كل مصدر للخوف، " وارتمى في أحضان نظرة تبجّل الفروسية وتقوّم الفرسان بوصفهم الفئة الأكثر تميزاً من عموم ذلك الشعب المقاتل، ونُظِر اليهم أبطالاً قوميين ضمن حدود قبيلة أو في إطار تحالف معين، وصار طموح الجميع يتجه صوب ارتقاء هذه المكانة، وتباروا في الوصول الى هذه المنزلة، لكن حظوتها اقتصرت على أسماء تكاد تُحصى"[24]، وفي ضوء هذه المكانة المرموقة التي حظي بها الفرسان فرضت عليهم ضوابط اجتماعية واخلاقية مثلت أحكاماً خانقة، وأخذت دور الرقيب عليهم وعلى طبيعة سلوكياتهم، من هنا حرص الفارس على الظهور دائماً بحالة من الزهو وتضخم الذات؛ وأدرك أن القوة ليست قيمة موضوعية محايدة وحسب، بل سمة لازمت ذات الفارس وحايثته دون إنفكاك عنه.

والشاعر الجاهلي عمرو بن معد يكرب أحد الفرسان الشعراء المعترفين مجسدا بذلك الشجاعة الأدبية، والاعتراف التصالحي مع ذاته الشاعرة، والاتزان النفسي مع اناه الفارسة على الرغم من أنه قد رضخ ودخل بمنظومة القيم العرفية القائمة آنذاك التي فرضتها عليه البيئة من جهة، وكبلته بها القبيلة من جهة أخرى، مما أملى عليه الإذعان لها والارتماء لأجواء البطولة والفروسية خاضعاً لها، إذ سيطرت على نفسه وافرزت ما فيه من قيم سلبية وإيجابية.

وفي ضوء هذا المفهوم عكف الفرسان على تقديم نصوصهم الشعرية دائما بما يتصفون به من مواصفات استثنائية، ففرضت عليه الطبيعة الجاهلية قيوداً صارمة تفرض عليه طبيعة من الممارسات، وشكلاً معيناً يتلاءم مع قوانين القبيلة واعرافها، وقد خضع الفارس لهذه القيود وانطلق على وفق مراميها ومقاصدها، فصارت هناك مجموعة من القيم الإلزامية على الفارس وهي قيم ذات قدسية تلزم أفرادها تنفيذها[25].

وكانت أولى هذه القيم تتجسد في معادلة الحياة والموت عند الفرسان؛ لأنهم القادرون على دفع الأذى ورفع الضيم عن القبيلة، من هنا رضخ الفارس وأذعن للفعل القدري ولحتمية وقوعه، وفي ضوء هذه الرؤيا راح الشعراء يطرحون القيم في أشعارهم؛ " لكونها نظاماً معقداً يتضمن أفكاراً تقييمية إيجابية أو سلبية (تبدأ من القبول الى الرفض)"[26]، وبهذا قيّدت المنظومة القيمية الفارس " من خلال إيمانه بها فلم يعد بإمكانه الخروج عليها، وفي حال تحقق خروجه عليها فإنها تقضي أمرها بمعاقبته اجتماعياً بوصفه امرءاً متمرداً عليها يستحق التعيير والذم والإذلال الاجتماعي الذي ينقص من كرامته، ويعدّ في ضوء المفاهيم الاجتماعية والنفسية منحرف السلوك؛ لأن نسق القيم هو الذي يتولى تحديد غايات فعل الفاعل ومعاييره"[27].

من هنا كان الثبات على القيم أمراً ليس سهلاً، بل هو عناء كبير على الإنسان فلم يستطع أن يحافظ الإنسان على استقرارها؛ وعزاء ذلك الى كون الإنسان خاضع لزخم نفسي دائم ومناخ متغير لا يعرف الاستقرار، وبما إن الحرب مثلت حديث الفرسان الذي لا

ينتهي، دفعهم هذا بوصفهم شعراء بتصوير شعورهم الداخلي في أجواء هذه الحرب منذ حدوثها الى نهايتها، وتصوير ما يعتري انفسهم من خلجات نفسية.

إلا أننا نجد أن هناك من لم يقتصر على وصف حالة الحرب فقط وانما ذهب الى أبعد من ذلك فراح يحفر عما في نفسه من تشويش واضطراب يظهره لنا بطريقة اعترافية " فيسهم الشعور بالارتياح في اتزان الفرد وفي ثباته، لكن شعوره بالقلق في مواجهة مواقف الحياة يسهم في ضعف كفاءته الشخصية، واعتزازه بذاته، فشعوره بالفشل أو بالتحقير أو بالخوف، تؤثر على اتزان الذات لديه وتضعه في مخاوف"[28].

الاعتراف الإيجابي:

يعترف عمرو بأن من واجهه كان كفء، فيمثل اعترافه جانباً إيجابياً يعكس أخلاق الفارس الجاهلي.

وَقِــرنٍ قد تَرَكتُ لدى مَكَرٍّ عليه سَبائبٌ كالأُرجُـــوانِ
دَعاني دَعوةً والخيلُ تَردي فلا أَدري أَباسمي أَم كَنَاني
يُلَجلِجُ كُنيتي ويُريغُ إسمي فُلاناً مـــرةً وأَبـــا فُلانِ
فكـــان إجابتي إيّاهُ أَنّي عَطَفتُ عليه خَوَّارَ العِنـــانِ[29]

تؤدي طبيعة الحياة دوراً مركزياً في تشكيل الأداء الاعترافي لدى الشاعر؛ وذلك متأتٍ من المحمولات التراكمية التي تسقط عليه، إن بؤرة التأثير الأكثر فعالية في رسم الاعتراف تتعلق بما واجهه الشاعر/الفارس من تجارب دفعته لاختيار هذا النمط ليمثل ذاته ويكشف عنها، فلا يصدر الاعتراف إلا من ذات تورمت من الخوف والكبت، وتعرضت لكمية من التراكمات في مسيرتها، وهذا ينعكس بشكل مباشر على حياة الفرسان التي اثخنت بالتراكمات، وبما أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعي طبيعة الاعتراف وفلسفته فهو لا يكتفي بالتعبير عن أبعاده الشخصية وأحاسيسه الداخلية ودوافعها، لكنه يتعدى ذلك الى محاولة فهم نفسيته بالتعلل.

وقد يأتي اعترافه بذاته وقوتها مغايراً لما سبق:

فَلَـــم نَقتُل شَرارُهم وَلَكن قَتَلنا الصالِحين ذَوي السِلاحِ
قَتَلنا مُطعِمَ الأَضيافِ مِنهُم وَأَصحـابَ الكَريهَةِ وَالصَباحِ
فاثكلنا الحَليلة مِن بَنيهـــا وَخلّينا الخَريدَةَ لِلنِكـــــاحِ[30]

فالنص يعطي دلالة شجاعتهم بمعنى مضمر قائم على شجاعة خصومهم و كرامتهم فهو اعتراف إيجابي من الشاعر بالخصم.

الشجاعة الأدبية:

ولو تابعنا سيرة عمرو بن معدي يكرب وأخباره لوجدنا انعكاس سلوك الاعتراف ظاهرة في نتاجه الشعري فسيرته تشعرنا عن حقيقته، فهو من فرسان الجاهلية الذي كان لهم مالم يكن لغيرهم من مكانة وقيم، وعلم الرغم من ذلك إلا إننا نجد فيما وصل إلينا من مقولات تنبئ عن إسقاطات نفسية، وحيل دفاعية فقد شغلت هذه الأخبار حيزاً ملحوظاً فيما وصل إلينا من شعره، وأول ما يطالعنا هو ما ذكره عنه نفسه صراحة، " قال عمرو بن معد يكرب: لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يلقني حراها وعبداها. فأما الحرّان فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب، وأما العبدان فأسود بن عبس، يعني عنترة والسليك بن السلكة "[31].

ولو استحضرنا شعره لوجدنا له ما يوائم حقيقة المقولة الإخبارية التي وصلت اليها كما جاء في قوله معترفاً بقوة السليك وشجاعته:

وسَيرى حتَّى قال في القومِ قائلٌ عليكَ أبا ثورٍ سُلَيكَ المَقـانبِ
فَرُعتُ به كاللَّيث يَلحَظُ قائمـــاً إذَا رِيعَ منه جـانبٌ بَعدَ جانبِ
له هَامةٌ ما تأكُلُ البَيضُ أُمَّهـــا وأشبَاحُ عادِيٍّ طَويلِ الرَّوَاجبِ[32]

فلو تأملنا مضمون النص لوجدنا أن الشاعر يقدم فلسفة جديدة تنطق عن معنى اعتراف معاكس للمعروف عن الفرسان، فطبيعة اعتراف شاعرنا تكاد تكون مغايرة لطبيعة الفرسان وما عرف عنهم في استقبال الزخم النفسي، فبالنظر الى نص الشاعر نجده مشدوداً منذ البداية الى مخاوف مركوزة في شعوره تمثلت في ومضات من الرعب صاغها على شكل اعتراف، فلم يكن الشاعر قادراً على إخفاء قلقه وخوفه؛ لذلك بدت نفسيته غير متوافقة مع ما تؤمن به بالأصل فتملكها هاجس الاعتراف؛ لأن " النفس الإنسانية مجبولة في أصلها على الإحساس بما يحيط بها من هم ومذعنة منذ بواكير وقوعها تحت ضغط التوتر والقلق والاضطراب لما يتملكها من ضيق ومعاناة "[33].

الاعتراف بأنا الآخر:

وراح الشاعر يستجلب اعترافه بالذات الفارسة فهو وإن كان فارساً يشيد بفارس آخر – فارس أمام فارس – وكأنه يقف أمام ذاته ويعترف بالذات الأخرى الفردية، اعترافاً متجرداً من الذات المبغضة الى أخلاق الفرسان باعترافهم بخصومهم يدخل في باب الاعتراف بالأنا الآخر، فالنص الاعترافي ينتقل بالشاعر/المعترف من حدود الأنا الى سعة موصولة بالآخرين:

أَينَ دُريدُ وَهُوَ ذو بِزاعَه
حَتّى تَروه كاشِفاً قِناعَه
تَعدو بِهِ سلهبةٌ سِراعَه[34]

وفي ضوء هذا يمكننا فهم طبيعة عمرو بن معدي يكرب إذ ضم النص جملة من مخاوف الفارس فيصبح عنده " الأمن والخوف مفهومان نسبيان متضادان يتأثر كل منهما بعدد من العوامل أو المتغيرات الذاتية والموضوعية، التي تعمل على زيادة مساحة أحدهما أو تقليصها"[35]، ومن هنا تحول بالنص من طابع الاعتداد والفخر الى طابع الاعتراف بالمكبوت في نفس الفارس؛ لأن استحضار صورة الخوف من معين، ومحاولة تجنب الوقوع فيه والإقرار بحتمية قوته، تكشف عن وقوع صاحبها تحت تأثير مخاوف تحمل صاحبها الى الاعتراف بها ليكون أكثر كشفاً لما يعانيه، ويحاول البوح بها لكن بطريقة تحقق له المقبولية؛ كي لا يخسر مكانته الاجتماعية في بيئة تمجد القوة والثبات.

الاعتراف السلبي:

لقد سببت الحرب خوفاً وقلقاً وعقداً نفسية عند الجاهليين، فإذا كان الشاعر لا يصرح بخوفه من الحرب – وإن كان فارساً- تصريحاً، ولا يعد الموت شراً في ظاهر قوله فإن ما تضمره نصوصه من محمولات وصياغات تكشف عن أحاسيسه الداخلية وانفعالاته المضمرة التي تحسب للحرب حساباً كبيراً وتخلق عنده فجوة نفسية، تدخل ضمن الاعتراف السلبي.

ولَقد أجمَعُ رِجلَيّ بِهَـــا حَذَرَ المَوتِ وإنِيّ لَفَـــــــرورُ
وَلقَد أعطِفُهَـــا كَارِهَـةً حِينَ لِلنَّفسِ عَلـــــى الموتِ هَرِيرُ
كَلُّ مَا ذَلِكَ مِنِيّ خُلُـــقٌ وَبِكُلٍّ أنـــــــا فِي الرَّوعِ جَدِيرُ
وابنُ صُبحٍ سَادِراً يوُعِدني مَالهُ في النَّاسِ– ما عِشتُ– مُجيرُ[36]

إن إسقاط ما في داخل الشاعر/الفارس من مدركات شعورية من خلال الاعتراف ما هو إلا صورة من صور الانعكاسات الذاتية والواقعية التي يخشاها الشاعر، وتتجسد له دائماً، إذ أملت عليه مخاوفة حشد صورة متناقضة لما هو معروف عن طبيعة الفارس، فاجبر على التحول السريع من حال الى حال، فالشاعر وإن بدا في غاية القوة والتمكن فإن فكره تجاه الحرب والصدام لم يكن منظماً، إذ افتقر على خيوط نفسية تتيح له تثبيت ما في نفسه وما يريد الاعتراف به؛ لكنه ظهر عاجزاً عن المواجهة مما حدا به الى استرفاد قيمة الاعتراف، فالأبيات صرحت بين متناقضين يتمثل الأول بجيشان النفس ثم ترجيح الهزيمة، " ففي مجابهة الموت يتصافى العقل مع الوجدان، والحكمة مع العواطف، فتبدو النفوس سهلة القياد بعدما كانت صعبة، وطيّعة بعدما كانت عصية "[37] ، مما تدفع المشاعر الى احتضار الهم، فتنبئ عن تملك الشاعر إحساسات دفينة ليس له بديل إلا بالإفلات من قيودها عن طريق الاعتراف، ومن هنا أذعن عمرو الى حالة الاعتراف فشكلت حالة من القبول المرضي عنده.

وبما إن الاعتراف يبعث على ارضاء نوازع الفارس النفسية، ويهدئ من شدة زخمه النفسي، " فالمعنى الشعري في النص الاعترافي منتمٍ غالباً لمتبنيات الذات الشاعرة في مضمراتها وسرانيتها التي توفر للشاعر المعترف مساحة حرية، ونقاء تنفس"[38]، فقد شكل فسحة وجد فيها الفارس حرية مناسبة لعرض نوازعه الداخلية ومعاناته بأسلوب صريح بحسب رغبته في مواجهة الآخرين.

فهي محاولة من الشاعر إشراك المتلقي/ القارئ في مشاهدة ما لاقاه، لأن " الخوف من المجهول أخطر بكثير من الخوف من المعلوم، إذ يولد حالة من القلق الذي يمزق الإنسان، وفي الحرب ينشط سلوكا حركيا عند الفرد يتميز عن سابق سلوكه كماً وكيفاً واتجاهاً، فهي تنتج في داخل الذوات قيماً يتميز بها المقاتل لا تتصف بها حالات السلوك الاعتيادية "[39]، لقد أدرك الشاعر أزمته النفسية فسبح في خيالة الشعري امتثالاً لدواعي تلك الأزمة، فيضاً متلاحقاً من خطاب الاعتراف المباشرة، الذي أوحى بحقيقة نفسه من الصدام، فيما تبطن إحساسه ببث القوة، لعل اقربها تلك التي جاءت على شكل ومضات يعترف فيها الشاعر عن خوفه وجبنه، معترفاً بأنه لم يكن قادراً على التحمل " فطفت آلامه على السطح، وتلمستها الأيدي، عساها أن تدفع بها عنه نفسه؛ لكن الألم كان أكبر من أن يتراجع، وكان هو اضعف من أن يتخطاه "[40].

قدم لنا الشاعر/الفارس تبريراً لهروبه ليضفي على نفسه شعوراً بالراحة وتخفيفاً للمعاناة التي يشعر بها؛ لذلك سعى جاهداً لتقديم تبرير مقنع يحاول فيه إثبات إنه على حق، فظاهر التبرير وكما يراها علماء النفس هو أن يتخيل المرء سبباً معقولاً لما يبدر عنه من سلوك وتصرفات خاطئة، او معيبة فيحاول تقديم الأعذار التي تبدو مقنعة بالنسبة له وبالحقيقة الشاعر يخادع ذاته؛ لأن جوهر التبرير خداع للذات[41].

تؤسس الذات الشاعرة ميثاق نصها الاعترافي على قلق وجودي وانشطار ذاتي، فتشتغل على ثيمة الغياب الناتج بفعل انكسار الذات وتأزمها وهي تعيش حالة من الفراغ الى المفتقد الذي لم يعد له حضور، " فالذات الشاعرة في اعترافها مرآة لذاتها"[42]؛ لأن شعر الاعتراف يتمحور على الذات والتعبير عن رؤيتها فيصبح الاعتراف أداة الشاعر في بحثه عن مواطن الألم واستئصالها عن

طريق البوح والمكاشفة، فثقافة الاعتراف تؤول الى النفي؛ ينفي المعترف عنه نزعة الجبن.

أَجاعِلَةٌ أَمُّ الثوير خزايـــــة
عَلَيَّ فِراري إذ لَـــــــــقيتُ بَني عَبسِ
لَقونا فَضَمّوا جانبينا بِصادقٍ
مِنَ الطَعنِ حَشَّ النار في الحَطبِ اليبس
لَقيت أَبا شاسٍ وَشاساً وَمالِكا
وَقَيساً فَجاشَت مِن لقائهـــــم نَفسي
كَأَنّ جُلودَ النمرِ جِيبت عَلَيهُم
إِذا جَعجَعوا بَين الإِنـــــاخَةِ وَالحَبسِ
وَلَما دَخَلنا تَحتَ فَيءِ رِماحهم
خَبَطتُ بِكَفـــــي أَطلبُ الأَرضَ بِاللَمسِ
وَلَيسَ يُعاب المَرء مِن جُبن يَومِهِ
إِذا عُرِفَت مِنهُ الشَجـــاعةُ بالامس[43]

يواري الشاعر مخاوفه بمحاورة تشكل قيمّة من ثم يميل الى أن يكون أكثر اعترافاً وكشفاً لما يريده، إذ " يحشد لمخاوفه الكثير من المعاني التي تجعلها أكثر رعباً، وبهذا فإن حشد المخاوف على قلة الأبيات تعطي انطباعاً مفاده عدم توافق نفسية الشاعر في استيعاب المزيد من صور الترهيب "[44]، مما يدفعه للاعتراف السلبي.

لهذا يتخذ الشاعر نوعاً من الحيل الدفاعية للخفض من شدة توتره ولتحقيق التوازن النفسي، إذ يلجأ في حالة عدم اهتدائه الى حل أزمته النفسية أو ما يعانيه من صراع بطريقة إيجابية واقعية، بان كانت هذه المشكلة تفوق قدرته على حلها واحتمالها، فيجنح إلى طرق أخرى تدفع عن (الأنا) غائلة التوتر والقلق، أو تقيه مشاعر العجز والفشل والخوف فتعمل بصورة لا شعورية لا تستهدف حل الأزمة التي يعاني منها المرء بقدر ما ترمي إلى الخلاص من التوتر والقلق النفسي، وتزويد (الأنا) بشيء من الراحة الوقتية حتى لا يختل توازنه[45].

فضح الأنا:

يكون دافع الاعتراف الدفاع والتبرير لموقف حدث في الحياة، ولا سيما عندما تكون للذات مكانة ومحط انظار العامة، فهي تسوق الأعذار والظروف والأسباب محاولة منها عدم إسقاط المكانة التي فيها بنظر الآخرين؛ لأن " حديث النفس بالفرار هو تعبير عن هواجس الخوف التي تعتريها وهي تدعو الى ذلك"[46]، فضلاً عن أن الاعتراف يهدف الى الإفصاح عن الأخطاء وتعرية الذات.

ولمّا رأيت الخيلَ زُوراً كَأَنَّها جَداولُ زَرعٍ أُرسِلَت فاسبَطَرَّتِ
فَجَاشت إليَّ النفسُ أَوَّلَ مرّةٍ فَرُدَّت على مَكروهها فاستَقَرَّتِ
هَتَفتُ فجاءت من زُبَيدٍ عصابةٌ إذا طَرَدَت فاءت قريباً فَكَرَّتِ
عَلامَ تقولُ الرُمحُ يُثقِلُ عاتقي إذا أنا لم أطعُن إذا الخيلُ كَرَّتِ
عَقَرتُ جوادَ ابني دُرَيدٍ كليهما وما أَخَذَتني في الخُتونة عِزَّتي
لحا اللهُ جَرماً كلّما ذَرَّ شارقٌ وُجوهَ كِلابٍ هارَشَت فازبأَرَّتِ
ظَلِلتُ كَأَنّي للرماحِ دَريئةٌ أُقاتِلُ عن أبناءِ جَرمٍ وفَرَّتِ
فلم تُغنِ جَرمٌ نَهدَها إذ تَلاقَتا ولكنَّ جَرماً في اللقاء ابذَعَرَّتِ
فلو أنَّ قومي أنطقتني رماحُهم نَطَقتُ ولكنَّ الرماح أَجَرَّتِ[47]

وما دام " كل نص يحمل في تضاعيفه نسقاً متصوراً، ولغة تحدد هذا التصور، وتسهم في التأمل في هذا النسق الذي يتعلق بالأحاسيس الخارجية المنبثقة من المحيط، ونقلها الى كيان المعلومات حيث توارد الأفكار، وخلق الصور وبناء مدركات بفعل المثيرات الحسية المختلفة، نتيجة ثمرة سنن الحياة التي توجد بين صريح المقول ومستور المكنون"[48]، فإن طبيعة الاعتراف ترتبط بطبيعة الفطرة الإنسانية الساعية نحو الكشف عن دواخلها؛ وذلك للوصول الى الراحة النفسية المبتغاة، فالذات الشاعرة تعرض ما تخبئه الأنا من تجارب وخبرات وحالات شعورية خاصة، فضلاً عن مضمرات وكل ما تفيض به الذات من تيارات شعورية تنبه القارئ الى عدم التوازن لدى الذات المعترفة، فيأتي بوصفه أقرب الممكنات للشاعر؛ لأن النص الاعترافي ينطوي على واقعية التجربة ومصداقيتها، فأي محاولة للتزحزح عن الموقف هو مثلبة لا وجود لها في قاموس الفارس، فقد نظروا الى القوة " على أنها فضيلة أو قيمة، فما ذلك إلا لأن القوة تأكيد ملئ تام للوجود الشخصي "[49].

وما دام الاعتراف يركز على إظهار الجوانب الخفية من حياة الذات وكشف المستور من صفاتها الشخصية، فإن تقمص عمرو بن معدي يكرب دور المرشد لجماعته بعد هروبهم من المعركة هو تقمص للدور فيصير الفرد ممثلاً لدور وحالة ومكانة غيره، مع كون نفسه أول من دفعته للهرب، من هنا ينكشف لنا بأن شخصية عمرو بن معدي يكرب كانت انهزامية أمام الأحداث، " فليس ثمة بطل لا يمكن أن ينهار، وليس ثمة جبان لا يمكن أن يأتي بآية من آيات البطولة، وإنما يبقى البطل بطلاً حينما تجيء أفعاله كل يوم مؤكدة شجاعته وجرأته وإقدامه"[50].

التجرد من الأنا الفردية:

وعمرو بوصفه فارساً جاهلي لم يتجرد تماماً من رابطه القبلي في اعترافاته، إذ يعترف بقومه وهو يتجرد من الأنا الفردية – لأنه لم

ينسب الشجاعة والإقدام لذاته فقط، وإنما احالها الى الأنا الجمعية، فاعترافه بالأنا الجمعية وما حصل من إقدام لقومه – يمثل خروج من أناه الفردية الى الجمعية، فانتظم مع حالة اعترافه الجمعي بقوله:

أَبَني زيادٍ أنتُمُ فـــــي قومكُـــم
ذَنَبٌ ونحنُ فُروعُ أَصـــلٍ طَيِّبِ
نَصِلُ الخميسَ إلى الخميس وأنتمُ
بالقَهرِ بين مُـــــرَبِّقٍ ومُكَلِّبِ
لا تَحسَبُنَّ بني كُحَيلَةَ حَربَنـــــا
سَوقَ الحميرِ بجَأبَةٍ فـــالكوكبِ
لمّا رأوني في الكَتيفةِ مُقبـــــلاً
وَسطَ الكتيبةِ مثلَ ضوءِ الكوكبِ
يَختَبُّ بي العَطَّافُ حولَ بُيوتِهـم
ليست عـــــداوتُنا كبرقِ الخُلَّبِ
واستيقنوا منّا بوَقعٍ صـــــادقٍ
هَرَبوا وليس أوانَ ساعةِ مَهرَبِ
تَركوا السَّوامَ لنـــا وكلَّ خَريدةٍ
بيضـــــاءَ خَرعَبَةٍ وأُخرى ثَيِّبِ
عَجَّت نساءُ بني زيادٍ عَجَّـــةً
كَعَجيجِ نِسوَتِنـــا غداةَ الأَرنَبِ[51]

تقاسمت الأبيات حالة الشاعر المنتظم مع الأنا الجمعية، " لأن مرارة الحقيقة المضمرة التي تعترف بها القصيدة، لا يراد التصريح بها خطابياً أو بالأسلوب التقريري المباشر، لأن القصيدة هنا، وهي تعترف تجد في الفني والثراء الشعري عوض، يشبه تكفير الذنوب تؤدي إحساساً بالانتصار، وتعويضاً عن تداعيات الأسى المعترف به ضمناً"[52]، إذ راح يفرغ كل ما في نفسه من اعتراف تجاه قومه؛ لكونه وجد ملجأ يستظل بظلاله، فثقافة اعترافه معنية بالقبيلة، وكأنه يلقى من لدنها مؤازرة حتى وهو يضمنها اعترافه، ويجد في اثباتها راحة ينقلها الينا من خلال دلالات فنية وجمالية، من هنا أدى التصعيد الذي منية به النفس، والخوف مما سيحل الى انحسار الرغبة في إدامة الذات على حالتها الأولى وضيقها؛ لذا راحت تفرغ محمولاتها عن طريق الاعتراف بالأنا الجمعية.

لم تكن شخصية عمرو بحاجة الى زخم نفسي كبير قبل أن يعترف بالأفكار المخيفة التي تسكن داخله؛ ذلك لأنه اعتاد على زخم نفسي دائما لكونه فارساً، وهذا الزخم المتكرر هيأ وحفزه للاعتراف ببواعث خوفه، لذا أشعرنا بحجم الاسقاطات المكثفة، مما اعطانا انطباعات عن مكبوتات الشاعر الفارس ودواخله ولاسيما في الاعترافات الحاملة لاداءات الفرار أو الخوف أو الاعتراف بالآخر أو الجمع، وما يدرينا فلعل فروسيته حتمت عليه أن يعترف بهذه الأمور، أو ربما انتصاراته الجمة التي تسبق انكساراته ممكن جعلته يعترف بهذا الأمر وهي أخلاق الفرسان هكذا، فقد اظهرت النصوص الشعرية انتظام عمرو وتعايشه معها من خلال سلوكيات التفريغ.

وعلى الرغم مما هو قائم " فكل نص يحمل في منعطفاته أحجية غير مرئية يتبارى المتلقون في استقرائها"[53]، وهذا يحفزنا على توجيه مضمون فكرة الهروب والاعتراف به، توجيهاً مغايراً عما ذهبت إليه الدراسات السابقة التي تناولت شعر الفرسان وطبيعته، فجميها لم تنصرف الى معاناة الفارس من حيث الزخم النفسي الذي يسقط عليه فيخلق حالة من عدم التوازن، ولم تدرس نفسية الفرسان ومخاوفهم وكيف يحافظون على حيواتهم، ويقينا أن الاسترسال في معاينة نصوصهم وفحصها سيزيد في إيضاح الصورة ويكشف عن أمور مغايرة لما هو مطروح عن تبرير هروب الفارس واعترافه، ولكن تتجنب خطة البحث هذا الأمر.

الخاتمة

وصفوة القول بهذه التضليعات المعنوية والدلالية فقد تركزت بشعر عمرو بن معدي يكرب الكثير من النصوص الاعترافية؛ لأنه ألم بكل ما ذكره الآخرون من الشعراء ونجد بشعره نماذج مماثلة لما ذُكر، فراعى ترشيح الشاعر كثافة النص الاعترافي، فجاء التحليل كاشفاً لطبيعة الاعتراف وموضحاً مدى استعداد الشاعر وقدرته على بثه، إذ أفصحت النصوص الشعرية عن رغبة الفارس في إيجاد مسارات جديدة لتوظيف مضمونه الشعري، ويقيناً أن فئة الفرسان الجاهليين كانوا محكومين بظروف يتساوى فيها الجميع فرضخوا لضغوطها مما صار يسيراً عليهم إنتاج جملة من النصوص الاعترافية ولكن طريقة بثها وتوظيفها مرهونة بقابلية المنتج والظرف الذي أملى عليه التجسيد، فنجح الزبيدي في رفد النص بما شاء من الاعترافات، وكدأب بقية الشعراء الفرسان هناك في أشعارهم ما ينطوي ضمنا فهي تعري الراسب الإرهابي في ذواتهم، فالاعتراف أتاح لفئة الفرسان الجاهليون مساحة يمكن الركون اليها.

الهوامش

---

(1) معجم مقاييس اللغة، 4/ 282.

(2) لسان العرب، 9/ 237.

(3) المعجم الوسيط، 595/2.

(4) قصيدة الاعتراف تجربة وهاب شريف مضروباً في نفسه، 14.

(5) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، 194.

(6) قصيدة الاعتراف تجربة وهاب شريف مضروباً في نفسه، 10.

(7) نفسه ، 9.

(8) الاعتراف في الشعر العراقي الحديث، 9.

(9) دراسات في الأدب العربي القديم، 50

(10) قصيدة الاعتراف تجربة وهاب شريف مضروباً في نفسه، 19.

(11) نفسه ، 103.

(12) نفسه، 108.

(13) نفسه، 16.

(14) ينظر: نفسه، 36.

(15) دراسات في الأدب العربي القديم، 186.

(16) ديوان الحماسة ، 105

(17) نفسه، 111.

(18) نفسه، 113

(19) نفسه، 112.

(20) دراسات في الأدب العربي القديم، 59.

(21) قصيدة الاعتراف تجربة وهاب شريف مضروباً في نفسه، 18.

(22) الفروسية في الشعر الجاهلي، 47.

(23) القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً، 7.

(24) دراسات في الشعر العربي القديم، 160.

(25) ينظر : القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً، 84.

(26) نفسه، 13.

(27) نفسه، 56 – 57.

(28) دراسات في الأدب العربي القديم، 59.

(29) ديوان عمرو بن معدي يكرب، 180.

(30) ديوانه ، 52 – 53.

(31) كتاب الأغاني، ج15/ 214.

(32) ديوان عمرو بن معدي يكرب، 32

(33) دراسات في الأدب العربي القديم، 172.

(34) ديوانه، 146.

(35) القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً، 121.

(36) ديوانه، 102

(37) دراسات في الأدب العربي القديم، 66.

(38) قصيدة الاعتراف تجربة وهاب شريف مضروباً في نفسه، 22.

(39) النفس والعدوان، 145 – 146.

(40) دراسات في الأدب العربي القديم، 70.

(41) ينظر: أصول علم النفس، 556 – 557.

(42) أدب الاعتراف(مقاربات تحليلية من مفهوم سردي)، 17.

(43) ديوانه، 119

(44) دراسات في الأدب العربي القديم، 175.

(45) ينظر: أصول علم النفس، 551.

(46) القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً، 142.

(47) ديوانه، 43 – 45.

(48) بلاغة التأويل في الشعر الواصف، ، 41.

(49) المشكلة الخلقية (مشكلات فلسفية)، 254.

(50) مشكلة الإنسان، 52.

(51) ديوانه، 31 – 32.

(52) قصيدة الاعتراف تجربة وهاب شريف مضروباً في نفسه، 30.

(53) بلاغة التأويل في الشعر الواصف، 51.

المصادر

- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ط4، 2004م.
- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، مطبعة اشبيلية، بغداد، ط1، 1963م.
- توفيق إبراهيم صالح، القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً، الدكتور، دار غيداء للنشر والتوزيع – عمان، ط1، 2019م.
- رحمن غركان، قصيدة الاعتراف تجربة وهاب شريف مضروباً في نفسه، تموز ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2024م
- ريكان إبراهيم، النفس والعدوان، دار الشؤون الثقافية – بغداد، ط1، 1987م.
- زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية – مشكلات فلسفية ، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1969م.
- زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان – مشكلات فلسفية، دار مصر للطباعة والنشر، د.ت.
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ط1، 1985م.

- أبو عبادة البحتري، الحماسة، للبحتري(248هـ)، تحقيق: د. محمد إبرهيم حور، أحمد محمد عبيد، من إصدارات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2007م.
- عبد القادر فيدوح، بلاغة التأويل في الشعر الواصف، د. عبد القادر فيدوح، دائرة الثقافة بالشارقة – الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2022م.
- ابن فارس اللغوي (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1979م.
- أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 2010م.
- كاظم حمد محراث، دراسات في الأدب العربي القديم، دار الضياء للنشر، النجف الأشرف، ط1، 2007م.
- ابن منظور الافريقي (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1993م.
- نوري حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1964م.
- هاشم الطعان، ديوان عمرو بن معدي يكرب الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1970م.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

- رغد هاشم محمد، الاعتراف في الشعر العراقي الحديث، أطروحة دكتوراه، بإشراف الأستاذ الدكتور أثير محمد شهاب، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2022م.